هاني مندس ، **العمل والعمال في المخيم الفلسطيني** ، بيروت ، مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ، ١٩٧٤

تشكل الدراسة الميدانية التي وضعها الكاتب هاني مندس عن مخيم تل الزعتر تحولا ملحوظا في طبيعة الدراسات التي كتبت عن أوضاع الشعب الفلسطيني . وذلك لشدة تقربها وتعايشها مع الواقع العيني لحياة المخيم الفلسطيني . فبالرغم من أن عنوان الدراسة يدل على تخصصها بدراسة أوضاع العمل والعمال ، فانها تجاوزت ذلك لتتناول الناحية الاجتماعية لحياة سكان المخيم ، فكانت دراسة اقتصادية اجتماعية تناولت جميع أوجه الحياة في تل الزعتر . هذا وقد تعرض الكاتب الى كثير من المسائل السياسية والحقوقية ، وأورد كثيرا من الملاحظات في هدف أن يساعد على دفع النضالات النقابية والسياسية الى الامام بناء على معطيات الواقع المعيشي للفلسطينيين .

أراد الكاتب من دراسته هذه ان تكون احدى الدراسات عن المخيمات الاخرى وذلك من أجل تحقيق الاهداف الاساسية التالية : « أ — تقصي طبيعة مشاكل وعلاقات العمل والاجور التي يعيش في ظلها الفلسطينيون . ب — تعيين نسبة التداخل الاقتصادي — الاجتماعي مع الوضع اللبناني . ج — تحديد مجالات قوة العمل الفلسطينية الاكثر تأثيرا في عملية ودورة الاقتصاد اللبناني . د — محاولة فهم حجم وحدود العمل النقابي والسياسي الفلسطيني المستقل . هـ — حدود وامكانية قيام عمل فلسطيني — لبناني مشترك ... و — توضيح صورة التركيب الاجتماعي الطبقي الجديد ... داخل المخيمات وخارجها بوجه عام » (ص ٢٦) .

ان تحقيق مثل هذه الاهداف تتطلب بصراحة جهدا كبيرا للغاية ومساهمة فرقة خاصة من الباحثين . من الطبيعي ان الكاتب لم يستطع بجهوده الفردية ان يحقق كثيرا من تلك الاهداف بالرغم من انه استعان لذلك بمساهمات شخصية وتنظيمية لكنها ظلت محدودة .

أورد الكاتب في مقدمته المنهجية خلاصة تجربته في اخراج هذه الدراسة ، فشكلت بالتالي دليل عمل لغيره من الباحثين حيث عرض كامل الصعوبات التي تواجه الباحث في ظروف المخيم الفلسطيني . وتبين لنا ان هناك عراقيل كثيرة أمام عملية جمع المعلومات الاحصائية خاصة بما يتعلق بالدخل أو المعاش أو الاجرة اليومية للعمال والموظفين وذلك لشدة تخوف الفلسطيني وحذره الذي تراكم تاريخيا وأدى الى نشوء حالة نفسية مميزة ، تجعله يشك في عملية جمع الاحصاءات والمعلومات لكثرة ما ورد من مشاريع تصفوية عن طريق وكالة الغوث وبعض الهيئات الدولية والحكومات المختلفة . ولكن من الملاحظ ان الكاتب قد تأثر كثيرا بمثل هذه العراقيل خاصة واننا نلاحظ من خلال المطالب والملاحظات التي أوردها شدة تعلقه بأحاسيس الناس المباشرة والتزامه بعفويتهم . ونرى كذلك انه بالغ كثيرا في مدى تأثير تلك النفسية التي عاد بها الى أصولها القروية في فلسطين قبل ٢٥ سنة . أما الحقيقة فان الشعب الفلسطيني حاليا كبير الثقة بالثورة الفلسطينية وكافة مؤسساتها . فلو ان الكاتب اتبع طريق اشراك التنظيمات واللجان الشعبية (كما ينصح بنفسه) لما تأثر بتلك الصعوبات الطفيفة ولكن الكاتب استوضح تلك النقطة بعد أن خاض التجربة كلها بنفسه .

السكان والاوضاع الاجتماعية العامة في المخيم :

يعتبر هذا الفصل القسم الاول من الكتاب اذ يتناول مسألة السكان وأوضاعهم الاجتماعية بشكل عام . فنرى فيه رصداً لعملية نمو عدد السكان مرفقة باحصاءات مع تبيان أسباب تزايد هذا العدد من اقتصادية والاجتماعية وسياسية ... فنمو قطاع الصناعة على سبيل المثال كان العامل الاساسي لهجرة أهالي المخيمات الاخرى خاصة من الجنوب الى مخيمات بيروت وخاصة تل الزعتر الذي يقع في أهم منطقة صناعية من مناطق بيروت ومحافظة جبل لبنان .

يصف الكاتب في هذا الفصل حالة السكان الاجتماعية والتي تنطبق بمعظمها على باقي سكان المخيمات الاخرى ، حيث عاشوا في ظل نفس الظروف الصحية والسكنية والتربوية الخ .. ووكالة الغوث هي المسؤولة عن بؤس الشعب الفلسطيني وتتحمل الدولة اللبنانية نفس القدر من